- **دليل التنمية المرتبط بنوع الجنس** : وهو يقيس التفاوتات بين الجنسين فى أبعاد التنمية الثلاثة .
- **مقياس التمكين للجنس** : وهو يقيس حدود دور مشاركة المرأة فى الحياة السياسية والاقتصادية ومراكز صنع القرار . كما يوضح التباينات بينها وبين الرجل فى هذه الأمور استناداً للمتغير الجغرافى أو المكانى .

أن هناك محاولات جادة لتطوير دلائل ومقاييس لمعالجة الاهتمامات التى أغفلتها التقارير الأولى للتنمية البشرية ؟ ، لا سيما تلك المتصلة بالبيئة وصيانتها واستدامتها وتحديد النسل ، وجوانب ثقافية حيوية ذات أهمية كبرى فى عملية التنمية البشرية الحقيقية .

٤ - ثقافة الاستدامة وتجلياتها التنموية :

«أترك العالم على نحو أفضل مما وجدته ، لا تأخذ أكثر مما تحتاج ، لا تحاول الإضرار بالحياة أو البيئة ، وعدل ما فعلته إن كان غير ذلك »

«بول كوهين»

٤ : ١ على الرغم من مرور أكثر من عقدين على صك مصطلحات الاستدامة والتنمية المستدامة إلا أننا لا نستطيع أن نجد اتفاقا على تعريفاتها الأدق ، وإذا كانت بعض التعاريف المرتبطة بالاستدامة تحظى بقبول ما بين القطاعات العامة والأكاديمية ، فهى لا تحظى بمثل هذا القبول على مستوى الفهم الشعبى .

٤ : ٢ ولعل الميلاد الحقيقى لمفهوم الاستدامة المتجهة نحو المستقبل يرتبط بدراسات العلماء الاجتماعيين ؛ حيث كانت الاستدامة وما يرتبط بها من استمرارية طويلة الأجل تعبر عنها صور للمستقبل المنشود هى هاجسهم . ويمكن العثور على هذه المحاولات لدى التاريخيين ، وعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والإدارة وكذا لدى الإنثربولوجيين . ولم يقتصر على العلوم الاجتماعية بل امتد إلى عدد من العلوم الطبيعية كالسيبرناطيقا .

ففى كل هذه الدراسات كان هناك تأكيد على أن صور المستقبل الممتدة وافتراضاتنا عما هو ممكن ، أو قل الاستدامة فى تحليلها النهائى ، إنما يمكن لها أن تقدم لنا تأثيرات قوية على سلوكنا فى الوقت الحاضر . وأنه كلما كانت هذه الصور إيجابية ومغايرة كلما كان تأثيرها أقوى على السلوك الفردى والجماعى على نحو يستثير حمية الفرد ويحرك الديناميات الكلية للشعوب لتحقيق بدائل أفضل للمجتمع المستدام .

٤ : ٢ : ١ فالتاريخيون مثلا ؛ قد اكتشفوا الدور الذى تلعبه صور المستقبل

obeikandl.com

المثالى فى دينامية التغير التاريخى . ففى دراسات «فريدريك ل. بولاك» للتاريخ الغربى ومراجعات «ماركلى وهارمن» للدراسات التاريخية والانثربولوجية تم اكتشاف أن صور المستقبل (الاستدامة) ، عندما تتسم بخصائص إيجابية معينة يمكنها أن تطور قوة التوجيه وتحفز التغير الاجتماعى البناء . ومن هذه الخصائص : أن تكون **قابلة للتصديق** (**Believable**) ولا يتم رفضها لمجرد الاعتقاد فى كونها فنتازيا أو خيال جامح (Fantasia) غير قابل للتحقق ، وكذلك أن تتسم **بإيجابية عالية** كأن تمتلك رؤية ملهمة للناس وجودة تحفزهم على أن يجعلوا المستقبل مطابق تقريباً لمثل تلك الصور من خلال أشياء أو قوى تاريخية ؛ (كالقدر ، السوق ، الصراع الطبقى ، التكنولوجيا) أو من خلال جهد بشر قوى ومنظم ، أو الاثنان معا . وثالث هذه الخصائص أن تكون الصورة انفتاحية (Open Ended) ؛ بمعنى أن تكون غير جامدة أو ثابتة ، بل تنطلق إلى توجهات جديدة باستمرار ، أما رابع هذه الخصائص هو أن تكون مستجيبة (Responsive) ، فالصور المستقبلية عليها أن تحدد التحديات التى تواجه المجتمع ، والمخاطر التى عليه أن يواجهها . وأخر هذه الخصائص **التكاملية أو الاندماجية** (Inlegrative) ؛ فالصور مسئولة عن المساعدة فى إحياء إحساس المجتمع بالمعانى والأغراض عن طريق تزويد أفراده بتساؤلات أساسية من قبيل : ما الذى يحدث ؟... وماذا يمكن أن يكون ؟

وقد اعتبرت هذه الدراسات التاريخية ، خاصة عند بولاك (Polk) ، أن الثقافة اليونانية فى الفترة ما بين ١٠٠٠ ق.م إلى ٤٠٠٠ ق.م تعتبر مثالا حيا على هذه الخصائص . فالثقافة الهلينسية (Hellenic Culture) انطلقت فى الأساس من «وجهة نظر أسطورية» «للعالم» فحواها أن الحياة تتشكل تماماً بواسطة القدر ، ومن خلال إطار لا يمكن التنبؤ به ، إلى وجهة «نظر إنسانية للعالم» تعتقد فى قدرة الإنسان على مواجهة القدر والتصارع معه ، وأحيانا تنجح ولكن فى حالة فشلها فإن على الإنسان أن يبدأ فى تعظيم جهوده ليبدأ من جديد . نرى ذلك فى أساطير «سيزيف» و«أوديب» وغيرها ، كما نراها فى جمهورية أفلاطون ، وفى مهبط الوحى دلفى (Delphi) حيث يتم مواجهة وجهة النظر القائلة بأن «كل الحكمة تكمن وراء الآلهة» . وفى مرحلة متقدمة من تطور الثقافة الإغريقية تم تحقيق رؤية متكاملة (Paideia) كانت بمثابة إطار ثقافى مفتوح من أجل التعلم ، وتتسم بالإنسانية، حيث توجه الأهداف الأولية للمجتمع من الداخل بكل مؤسساته ويعاد تشكيلها لهذا الغرض القائم على الاستدامة (See: R. L. Olson, 1995, 18 - 19) .

٤ : ٢ : ٢ وتؤكد دراسات كيرت (K. Lewin) فى علم النفس الاجتماعى

ومدرسته فى دينامية الجماعة على فكرة السلوك «كمتحرك» باتجاه احتمالات المستقبل . وابتكر عالم النفس الاقتصادى جورج كاتونا (G. Katona) مجالا اقتصاديا فرعيا يقيس أثر توقعات المستهلك على السلوك الاقتصادى . أما نظرية الإدراك (Perception Theory) فتؤكد قناعة بأن إدراكاتنا الحسية تغربل وتصفى من خلال توقعاتنا وقيمنا المتعلقة بالمستقبل ، وعموماً فإن معظم مدارس علم النفس الإنسانى تؤكد على أن السلوك السوى يوجه بشكل كبير طموحاتنا تجاه المستقبل أكثر من الحوافز والظروف الخارجية (R. L. Olson, 1995, 15 - 16) .

٤ : ٢ : ٣ وعلى نفس المنوال نجد كلا من علماء الانثربولوجيا والاجتماع يؤكدون على الاستدامة من حيث كون الصور التى نرسمها عن المستقبل الآن تؤثر فى سلوكنا المقبل وفى التغير الاجتماعى. وقد قدمت أيضاً نظرية «الفوضى» Chaos Theory ونظرية التعقد(*) (Complexity Theory) تصورات مشابهة تقوم على كون التشويشات الطفيفة فى تصورنا عن المستقبل يمكن أن تفتح حقلاً جديداً وعظيماً لاحتمالات السلوك وتخلق سلسلة من ردود الأفعال لتغير التنظيم النفسى .

٤ : ٢ : ٤ ومن أقرب المعالجات لمفهوم الاستدامة ، فى مغزاه البيئى التنموى ، ما طرحه «بول كوهين» حيث يعرفها من منظور اقتصادى بأنها «حالة اقتصادية يمكن فيها تلبية احتياجات الناس والتجارة من البيئة ، دون إنقاص قدرة البيئة على ما تقدمه من أجيال المستقبل» (Jay Forrest) .

على أن الدراسات المستقبلية (Future Studies) تأتى بحكم كونها مجالا بينيا (Interdis ciplinary field) فى مقدمة العلوم الاجتماعية التى تركز مباشرة على كيفية تأثير الرؤى الاجتماعية فى التغير الاجتماعى ، فالتأثيرات التى تشكل المستقبل يمكنها أن تتأثر نفسها بتغيرات افتراضاتنا عما هو ممكن ، ويمكن أن يغير من طموحاتنا عن كيف نريد أن يكون المستقبل (محتملاً أو ممكناً أو مرغوباً) .

٤ : ٢ : ٥ ومن هنا نصل إلى تأكيد أنه فى حالة تدهور إيجابية تصورتنا عن المستقبل أو تقليديتها فإننا نصبح أمام المستقبل أقل إلهاماً ومصداقية ، وأضعف شخصياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، وبالتالى تتلاشى ثقتنا بقدرتنا على خلق مستقبل أفضل لمجتمع مستدام ، وهنا يصبح من الضرورى أن نمتلك المنظور الذى يمكننا من خلق المجتمع المستدام والثقافة المستدامة والتنمية المستدامة حتى يكون بوابة خروج إلى مرحلة جديدة للتطور الثقافى وأن نعيد توجيه النشاط الاقتصادى إلى أنماط بيئية مستدامة مما يقودنا إلى التحسين الكيفى وطرق الحياة المرضية (R. L. Olson, 1995, 17 - 19,33) .

(*) مع مزيد من التبسيط ، تتمحور دراسة نظرية «الفوضى» فى : كيف يتولد سلوك معقد من أنظمة بسيطة ، فى حين تدرس نظرية «التعقد» : كيف يتولد السلوك البسيط من الأنظمة المعقدة : انظر : (R. Lewin, 1992 - M. Wheatly, 1994) .

٤ : ٢ : ٦ نخلص إذن إلى أن أهداف الاستدامة تصبح ، مع تعدد التوجهات والتخصصات، هى : الحفاظ على الموارد غير المتجددة والحفاظ علىى البيئة ولكن لا يكون لها معنى إذا كانت تعنى استدامة فرص الحياة البائسة والمعوزة : إذ لا يمكن أن يكون الهدف هو العمل على استدامة الحرمان البشرى . ولا ينبغى لنا أيضاً أن نحرم من هم أقل حظا اليوم من الاهتمام الذى نحن على استعداد لمنحه للأجيال المقبلة «**فالاستدامة بمعنى واسع للغاية** ، هى:

> مسألة الإنصاف فى التوزيع – مسألة تقاسم الفرص الإنمائية بين الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة .. بيد أن هذا الإنصاف فى الفرص – وليس بالضرورة فى المنجزات النهائية . فكل فرد من حقه أن تتاح له فرصة عادلة لتوظيف قدراته الممكنة أفضل توظيف ممكن . ومن حق كل جيل ذلك أيضاً . أما مسألة توظيف كل فرد وكل جيل لهذه الفرص فعليا ، والنتائج التى يحققها كل منهما ، فهى مسألة تخضع لاختيارهما . ولكن يجب أن يتاح لهما هذا الاختيار – الآن وفى المستقبل» . (البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة ؟، ١٩٩٤، ١٣) .

إذن فالاستدامة هى قيمة **خلقية** فى حد ذاتها إلى جانب كونها تؤكد المساواة بين الأجيال ، فهى ، فى تحليلها الواسع تعنى أيضاً الحالة التى تعيش فيها النظم الطبيعية والاجتماعية وتزدهر معا بشكل غير محدود . وتمثل الاستدامة التزام معاصر واضح ، ينبع من الدعاوى المستمرة وغير المتحققة **للتكاتف والعدل** ، وتعمق من فهم ارتباطات الحياة والواقع الأليم لتدمير الطبيعة . (انظر : البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة، ١٩٩٤، ١٣ وما بعدها) .

فقد أصبح اليوم من المسئوليات الإنسانية الأساسية ضمان أن كلا من النظم الطبيعية والإنسانية تظل بشكل مستمر فى حالة من الصحة ، من أجل الكرة الأرضية والناس (S. R. Euston & W. E. Gibson, 1995) .

٤ : ٣ : ١ وفى هذه الحدود تتضمن الاستدامة كقيمة محورية وإرشادا للعمل العام والخاص كما تتضمن «التنمية المستدامة» ، من مضامين ومتطلبات هى كالتالى : (S. R. Euston & W. E. Gibson, 1995) .

* الاهتمام بمستقبل الأجيال .
* احترام التكامل البيئى .
* مسئولية الحفاظ على الكرة الأرضية .
* إعادة العمل من أجل العدل (عبر المشاركة الكاملة للجميع فى الحياة واتخاذ القرارات ، وكفاية التنمية المستدامة) .

* احترام المجتمع المحلى .

* إعادة العمل من أجل الديمقراطية المدنية والحوار المدنى .

٤ : ٣ : ٢ وتلتقى الاستدامة إذن مع مفهوم التنمية المستدامة(*) (Sustainable Development) التى صاغتها اللجنة الدولية للتنمية والبيئة (WCED) فى عام ١٩٨٧ فى شكل قاعدة ذهبية للأجيال المشتركة فحواها أنه :

«يجب علينا أن نتعلم أن نقابل احتياجات الحاضر دون أية تضحية بقدرة أجيال المستقبل على مواجهة احتياجاتهم» .

وقد أصبحت فكرة **«التنمية المستدامة»** فكرة مركزية منظمة مع طرحها فى التقرير الأول للبرنامج الإنمائى للأمم المتحدة عام ١٩٩٠ – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – ثم تجسدت الفكرة مع عقد مؤتمر «ريودى جانيرو» فى البرازيل عام ١٩٩٢ ، والمعروف بمؤتمر «قمة الأرض» ، والذى يعتبر علامة فارقة فى ثورة الاستدامة ، فلم يسبقه تجمع هذا العدد من رؤساء الدول معا (أكثر من ٨٠ ملك ورئيس دولة) ، حيث نتج عن هذا المؤتمر أجندة للقرن الجديد عرفت بـ «أجندة ٢١» والتى حملت خطة لتحديد خطة لتحديد المشكلات الاقتصادية والبيئية فى نهاية القرن العشرين .. كما قدمت سلسلة من الأفعال من المستهدف أن ينفذها الأفراد والحكومات فى دول العالم بخصوص خفض استغلال الموارد فى العالم المتقدم، وتقليل الآثار البيئية ، وخاصة التلوث ، وتشجيع الحفاظ على الطاقة . كما ترفض البدائل المثالية أو تلك غير المقبولة أخلاقيًا واجتماعيًا ، وترك على تحديد الاتجاهات بشأن إعادة مجالات التنافس ، وتوفير فرص غير معروفة ، ومواجهة تحديات غير معلومة كما تؤكد على فكرة التكيف مع النمو المنخفض أو تحدى النمو الصغرى رغم كونه عملية مؤلمة والواقع أن القضايا الرئيسية والتعهدات التى قدمت لموازنة حماية البيئة مع التنمية والتى جرى بحثها فى مؤتمر «ريو» ما تزال قائمة وغير منجزة على الرغم من مضى عشر سنوات على عقده وحتى عقد مؤتمر قمة الأرض والتنمية المستدامة ، فى جوهانسبرج فى ٢٠٠٢/٨/١٦ (انظر ملاحظات : ديساى، ٢٠٠٢ ، وبروندتلاند، ٢٨ أغسطس ٢٠٠٢ ، والربعى ، ٢٧ أغسطس ٢٠٠٢ ، الشرق الأوسط) .

٤ : ٤ تأسيساً على ما سبق يتضح لنا أنه ليس ثمة تناقض بين مفهومى التنمية البشرية والاستدامة ، ومن هنا جاء الطرح الجديد للتنمية للأمم المتحدة على أنها **«تنمية بشرية مستدامة»** تقوم على التزام أخلاقى بأن نفعل من أجل الأجيال التى

(*) لعل أول ظهور لمفهوم التنمية المستدامةجاء مع نشر «دنيس ميدوز» لكتابه «حدود النمو» والمقدم لنادى روما عام ١٩٧٢ .

ستخلفنا ما فعلته الأجيال السالفة لنا من أجلنا على الأقل .. وتشير بقوة إلى أن **التنمية البشرية ينبغى أن ينظر إليها على أنها مساهمة رئيسية فى الاستدامة** .. فكلاهما (التنمية البشرية والتنمية المستدامة) يقوم على عالمية مطالب الحياة . أما الأنماط الإنمائية التى تدعم التفاوتات الموجودة الآن فهى ليست مستدامة ، ولا تستحق العمل على استدامتها وهذا هو السبب الذى يجعل التنمية البشرية المستدامة أشمل من التنمية المستدامة (البرنامج الإنمائى، ١٩٩٤، ١٩) .

فالتنمية البشرية المستدامة .. تجعل الناس هم محور التنمية وتشير بقوة إلى أن التفاوتات الموجودة اليوم كبيرة لدرجة أن مواصلة شكل التنمية الحالى هو إدامة تفاوتات مماثلة للأجيال المقبلة . وجوهر التنمية البشرية المستدامة هو أنه ينبغى أن تتاح للجميع إمكانية متساوية للحصول على الفرص الإنمائية – الآن وفى المستقبل (البرنامج الإنمائى ، ١٩٩٤، ١٩) .

وفى نموذج للتنمية البشرية المستدامة ، **يجب أن يصبح الأفراد وتصبح المؤسسات حلفاء** – فى القضية المشتركة ، قضية تعزيز فرص الحياة – للأجيال الحاضرة ، والأجيال المقبلة . ولكى يتحقق ذلك ، يجب إرساء أسس مجتمع مدنى إرساء راسخا ، جعل الحكومة مسئولة تماماً أمام الشعب .

ويجب أن يتوقف التعارض بين الأسواق والحكم بين المبادرة الفردية والسياسة العامة – إذا كان الهدف هو توسيع نطاق اختيارات الإنسان من أجل اليوم ومن أجل المستقبل (البرنامج الإنمائى ، ١٩٩٤، ١٩) .

٥ . اشتباكات التعليم العربى بالتنمية : السياقات والإشكاليات :

٥ : ١ التعليم هل هو الخط الهابط فى التنمية العربية ؟!

٥ : ١ : ١ كما تكشف لنا فإن التنمية فهمت على مدى تاريخ الفكر الاجتماعى، على أنها تغير فى اتجاه مرغوب فيه ، وهو اتجاه متعدد الأبعاد ، وإذا كان هذا الفهم قد ارتبط فى مراحله الأولى بمراحل اقتصادية هى : زيادة فى القدرة الإنتاجية لمجتمع ما ، وتلبية احتياجات الناس الأساسية ، وتحقيق الأهداف التى تسعى إليها الجماعات المختلفة فى المجتمع المرتبطة باستخدام الموارد النادرة ، فإنه فى ظل هذه المراحل أصبح المقياس الشائع للتنمية المرتفعة أو الكفاءة الإنتاجية العالية فى مجتمع ما مرهونة بزيادة الدخل القومى الإجمالى (GNP) . وقد أوضحنا من قبل **فساد هذا المنطق** فهو مفيد طالما أن التنمية تفسر فقط بمعنى النمو الاقتصادى ،